ISSN : 2335-1071 ردمد:

مخبر الخطاب الحجاجي
أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر
جامعة ابن خلدون -تيارت

فصل الخطاب

ملف العدد:

الشعرية و تلاشي وثوقية التصنيف الأجناسي
جهود الباقلاني في الكشف عن مظاهر انسجام الخطاب القصصي القرآني
حوارية البلاغة بين التخييل و الإقناع لدى حازم القرطاجني
النفي البلاغي في القرآن الكريم
التمثيل الحجاجي للكناية والتعريض في القرآن الكريم

ديسمبر 2016

العدد 16
المجلد الرابع

دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث
العلمية والنقدية واللغوية والأدبية والبلاغية
باللغتين العربية والأجنبية

فصل الخطاب
العدد السادس عشر
ديسمبر 2016 Décembre
Revue n°16
Faslo El-Khitab

ISSN: 2335-1071

Laboratoire du discours argumentatif
ses origines, ses références ses perspective en Algérie
Université Ibn-Khaldoun-Tiaret

Faslo El-Khitab

(Art d'Argumenter)

Décembre 2016

Revue périodique a vocation scientifique, traitant des domaines de la critique littéraire, la languistique et la rhétorique en langues arabe et étranger

Revue N 16
Volume 04

فصل الخطاب

دورية أكاديمية محكمة يصدرها مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وأفاقه في الجزائر
تعنى بالدراسات والبحوث العلمية النقدية واللغوية والأدبية والبلاغية باللغتين العربية والفرنسية

العدد السادس عشر

ديسمبر 2016

ردمد ISSN 2335-1071

رقم الإيداع القانوني 1759 - 2012

جامعة ابن خلدون – تيارت
الجزائر

توجه المراسلات إلى إدارة المخبر أو المجلة
ص.ب. 78 زعرورة _ تيارت 14000 _ الجزائر
أو عبر: faslkhitab@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قواعد النشر بالمجلة

1. تهتم المجلة بنشر كل الأبحاث التي تعالج قضايا في حقل الحجاج والنقد الأدبي والبلاغتين القديمة والجديدة وما يدور في حقل اللغويات وله علاقة بهذه المواضيع . كما يمكن أن تنشر المجلة نقدا متخصصا أو مراجعة أو ترجمة لأحدث المدونات العلمية الصادرة باللغة العربية أو اللسان الأعجمي.

2. لغة النشر عربية، فرنسية، إنجليزية، على أن يصحب البحث بملخصين مجتمعين في صفحة، أحدهما باللغة العربية والآخر إما باللغة الفرنسية أو الإنجليزية.

3. ألا يكون المقال قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي إصدار آخر .

4. يقدم المقال المكتوب بالعربية بخط **(Traditional Arabic)** قياس 14 في المتن و11 في الهامش، أما المكتوب بالأجنبية بخط **Times New Roman** قياس 12 في المتن و10 في الهامش وكلاهما بمسافة 1 سم بين الأسطر وهوامش 4 سم (من الجهات أربع)، وألا يتجاوز البحث عشرين (20) صفحة بما في ذلك الإحالات، التي يشترط أن تكون إلكترونية، أما الجداول والترسيمات والأشكال فتكون صورا **IMAGE** .

5. بعد موافقة اللجنة الاستشارية المؤهلة للخبرة العلمية على الأعمال والبحوث، تعرض على محكمين اثنين من ذوي الاختصاص يتم اختيارهما بسرية مطلقة. وتحتفظ المجلة بحقها في أن تطلب من صاحب المقال التعديل بما يتناسب ووجهة نظرها في النشر .

6. لا تعبر البحوث المنشورة بالضرورة عن رأي المخبر، والمجلة غير مسؤولة عما ينتج عن أي بحث، والدراسات والبحوث التي ترِد المجلة لا تُردّ إلى لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

7. ترتيب المقالات في المجلة يخضع للتصفيف الفني وليس لاعتبارات أخرى كمكانة الكاتب أو شهرته أو غير ذلك.

رئيس المجلة

أ.د. مدربل خلادي

مدير جامعة ابن خلدون ـ تيارت

المدير المسؤول عن النشر

أ.د. زروقي عبد القادر

مدير مخبر الخطاب الحجاجي

رئيس التحرير : أ.د. بوزيان أحمد

هيئة التحرير

د. داود امحمد

د. سبع بلمرسلي

د. درويش أحمد

د. بوعرعارة محمد

د. غربي بكاي

د. قوتال فضيلة

د. كراش بخولة

د. بن فريحة جيلالي

د.معازيز بوبكر

د.عزوز الميلود

الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د. بوهادي عابد ـ جامعة تيارت

أ.د. فيدوح عبد القادر ـ البحرين

أ.د. مرتاض عبد الجليل ـ جامعة تلمسان

أ.د. خلف الجردات ـ المملكة الأردنية

أ.د. العشي عبد الله ـ جامعة باتنة

أ.د. بوحسن أحمد ـ المغرب

أ.د. حسن نعمي ـ المملكة العربية السعودية

أ.د. عباس محمد ـ جامعة تلمسان

أ.د. بشير بويجرة محمد ـ جامعة وهران

أ.د. آمنة بلعلى ـ جامعة تيزي وزو

أ.د. توفيق بن عامر ـ تونس

أ.د. سطمبول الناصر ـ جامعة وهران

أ.د. حسن البنداري ـ عين شمس ـ القاهرة

أ.د. خميسي حميدي ـ جامعة الجزائر

أ.د. دراوش مصطفى ـ جامعة تيزي وزو

أ.د. كواري مبروك ـ جامعة بشار

الفهـــــــرس

كلمة رئيس التحرير.....05
-الشعرية وتلاشي وثوقية التصنيف الأجناسي،
تشظّي الأصل الجامع وتكوثر التشجير المفارق(سطمبول ناصر).....07
- جهود الباقلاني في الكشف عن مظاهر
انسجام الخطاب القصصي القرآني(بن يمينة رشيد).....25
- الانفصال في العربيّة، "الضّمير أُنموذجًا"(نافع سلمان جاسم).....41
- حوارية البلاغة بين التخييل والإقناع لدى حازم القرطاجني(آيت حمدوش فريدة).....63
- مفهوم النظم عند المعتزلة،
الملامح الفكرية لرؤية المعتزلة للإعجاز في الخطاب القرآني(دحماني شيخ).....71
- منهج دراسة المجاز في القرآن الكريم. بين فكر البلاغيين والأصوليين(طويل مصطفى)..... 89
- التمثيل الحجاجي للكناية والتعريض في القرآن الكريم(بختي العياشي).....105
- النفي البلاغي في القرآن الكريم(ميسومي نور الهدى).....123
- الحجاج في الخطاب النقدي الدرامي التلفزيوني:
الإشكاليات والرهانات(القحطاني فيصل محسن).....143
- تعليمية النص الحجاجي في المرحلة الثانوية
الأسس النظرية والإجراءات التطبيقية (حاج هني محمد/ روقاب جميلة).....159
- الأداء الصوتي وأثره في تلقين رسالة الخطاب القرآني(حيمور إسماعيل).....173
- الملامح التّداولية لأسلوب التّأكيد في التّراث النّحوي العربي
مقاربة سيّاقيّة من خلال نظرية الأفعال الكلاميّة(بومسحة العربي).....189
- المرجعيات ودورها في تشكيل المصطلح بين مدّ التّراث وجزر الحداثة(شادلي عمر).....201
- علم اجتماع الأدب، فروعه ومناهجه(أحمد الحاج أنيسة).....221
- بلاغة السرد في قصيدة النثر، أدونيس أنموذجا(حميدي شريفة).....235
- دلالة الرمز الصوفي في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر(زرارقة الوكال).....243
- الشعر العربي بين رؤيا المقاربة والمفارقة في النقد(يعقوبي قداوية).....253
- سؤال الهوية في الخطاب الديني في رواية "قليل من العيب يكفي"(بوشيبة عبد السلام).....269
- حضور الخطاب الايديولوجي في الرواية الجزائرية "الوساوس الغريبة"(بوشاقور مليكة).....279
- التراث والنص الروائي العربي(العرابي محمد).....291
- انفتاحيه بنية النص اللغوية، في رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه"(مسك خيرة).....299
- لغة الاختصاص بين الغموض الدلالي وتحديات الترجمة(بختو عبد الحميد).....315

كلمة رئيس التحرير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أما قبل .....

مع طموح متفلت من رقابة الواقع والمحيط، يتجاوز العراقيل والمثبطات، وإرادة تعبد الطريق وتذلل الصعاب، وطاقم أغلبه شباب متطلع لرؤية أفضل، تشرئب روحه إلى المعرفة في أقصى مداها، وفي مختلف مناحيها، قد يهون عليه ركام المعوقات والتعب وتردي ما صارت إليه الجامعة، وهو الذي عايش أوج عنفوانها ومع كل ذلك فيستنهض الأمل من جديد ويشحذ الروح والهمة معا، فتولد طاقة أخرى ترمم ما انصدع، وتوصل ما انقطع في حيوية متوشحة بالجسارة الروحية، والتحدي المتسم بالوقار.

وذلك ما يلاحظه الرائي المتأمل أو المتعجل من أسراب الطلبة والطالبات وهي تفد على قاعات مخبر الخطاب الحجاجي والمورد العذب كثير القصاد كما قال الشاعر قديما، وهو ما يزيد الثقة بالنفس، ويزرع الثقة والقبول، ثم احتساب كل ذلك عند الله تعالى .

وذلك ما دأبت عليه نخبة هذا المخبر، من خفض الجناح، أو التقرب إلى طلبة الدكتوراه أو الماستر أو حتى الليسانس، مما رغب هؤلاء الطلبة إلى الاندماج فرادى ومجموعات في هذا المخبر إما بالاستشارة أو اقتناء الكتب، فترى القاعة الكبرى كحديقة غناء وقد فاح أريجها، وباح عبقها. فتستقطب الفراشات والنحل، إما للاستجمام أو لصنع العسل، وذلك هو شأن مجلة فصل الخطاب، لسان حال مخبر الخطاب الحجاجي، في استقطابها للدراسات الجادة والواعدة في شتى أصناف المعرفة، تراثية كانت أم حداثية، ولا عبرة عندنا لهذا التصنيف الزمني، وإنما العبرة للمعرفة وحدها التي تنبني على التراكم، فلا قيمة للحاضر إلا باعتباره إفرازا للماضي، ولا قيمة لهذا الماضي إلا اذا كان حاضرا في وعينا ووجداننا حضورا يفاعل الراهن تفاعلا منتجا .

وهذا الوعي بهذه الإشكالات المتداخلة هو ما سيلاحظه القارئ في هذه المقالات المتنوعة كالشعرية وتلاشي وثوقية التصنيف الأجناسي، تشظّي الأصل الجامع وتكوثر التشجير المفارق، وجهود الباقلاني في الكشف عن مظاهر، وانسجام الخطاب القصصي القرآني، والانفصال في العربيّة، "الضّمير أُنموذجًا"، وحوارية البلاغة بين التخييل والإقناع لدى حازم القرطاجني، ومفهوم النظم عند المعتزلة، الملامح الفكرية لرؤية المعتزلة للإعجاز في الخطاب القرآني، ومنهج دراسة المجاز في القرآن الكريم. بين فكر البلاغيين والأصوليين، والنفي البلاغي في القرآن الكريم، والأداء الصوتي وأثره في تلقين رسالة الخطاب القرآني، والملامح التّداولية لأسلوب التّأكيد في التّراث النّحوي العربي مقاربة سيّاقيّة من خلال نظرية الأفعال الكلاميّة، والمرجعيات ودورها في تشكيل المصطلح بين مدّ التّراث وجزر الحداثة، وعلم اجتماع الأدب، فروعه ومناهجه، وبلاغة السرد في قصيدة النثر، أدونيس أنموذجا، ودلالة الرمز الصوفي في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر، والشعر العربي بين رؤيا المقاربة والمفارقة في النقد، وسؤال الهوية في الخطاب الديني في رواية "قليل من العيب يكفي"، وحضور الخطاب الايديولوجي في الرواية الجزائرية "الوساوس

الغريبة"، وانفتاحيه بنية النص اللغوية، في رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه"، ولغة الاختصاص بين الغموض الدلالي وتحديات الترجمة،

وإيمانا منا بانفتاح المعرفة، مع اعترافنا بمفهوم التخصص الذي دأب عليه البحث الأكاديمي في صرامته ، ومع كل ذلك تظل المجلة وفية لخطها الذي ارتضته تخصصا، مقيدا ومفتوحا في الآن ذاته. هذا التخصص التي هي مشروطة بوجوده تحديدا في الدراسات الحجاجية باعتبارها مدار المخبر ، وعليها بُني وبها يستمر، ومنها ينطلق وإليها يعود. وهو وفاء لشرعية عنوانه، ولذلك جاءت دراسات الحجاج في هذه المقاربات كالحجاج في الخطاب النقدي الدرامي التلفزيوني: الإشكاليات والرهانات، وتعليمية النص الحجاجي في المرحلة الثانوية الأسس النظرية والإجراءات التطبيقية، والتمثيل الحجاجي للكناية والتعريض في القرآن الكريم.

وعلى كثرة ما يصلنا من مقالات كثيرة في التخصصات المختلفة، وعلى تفاوت كفاءتها العلمية فإن الفيصل الوحيد هو التحكيم السري، ولم تعد مجلة فصل الخطاب حكرا على أساتذة الجزائر فقد وصل صداها الى المغرب والامارات والسعودية وقطر والعراق وحتى بلغات أخرى وعلى هذا فإن طاقمها يرحب بكل الدراسات الجادة وسوف تبقى وفية لخطها آملين أن يزيدنا الله مددا بلا عدد .....

ولله الفضل والمنة

الأستاذ الدكتور: أحمد بوزيان

سؤال الهوية في الخطاب الديني في رواية "قليل من العيب يكفي!" لزهرة ديك

الدكتور: بوشيبة عبد السلام

جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر

يحتل المحظور حضورا متميزا في الرواية الجزائرية، إذ لم يتجل فقط من خلال تمظهراته السياسية والاجتماعية والدينية، وإنما عرف نضجا فنيا تضافر فيه الموضوعاتي والجمالي. ولعل هذا ما جعل الروائيين ينفتحون على هذا الموضوع الذي أصبح محورا مركزيا في تجاربهم السردية. ولعل الرواية "قليل من العيب يكفي" للروائية زهرة ديك تمثل هذا النموذج من التوجه، إذ يحضر المحظور الديني بشكل يكاد يكون ملتبسا بالمحظورين الاجتماعي والسياسي. فالمتلقي حين يستقبل العنوان الرئيسي للمرة الأولى يشد انتباهه لفظ " العيب" لما يحمله من دلالات دينية وأخلاقية. فللعيب وقع الصدمة والانتهاك المتجاوز لكل الحدود والقواعد المجتمعية. وتذهب الروائية في معالجتها للمحظور الديني إلى أبعد من ذلك حيث إنها لا تتناوله بوصفه عيبا أخلاقيا فحسب، بل تنتقد مرجعيته الفكرية أيضا والتي قد يكون لها تأثير سلبي على سلوك الإنسان وفكره. وتبعا لذلك فإن الروائية حاولت من خلال ملامستها لعنف الخطاب الديني أن تدق بطريقتها الخاصة جرس الإنذار عبر تأكيدها على أن هذا العنف متولد من خلفية فكرية. كما تحاول الروائية من خلال نصها أن تميط اللثام عن بعض القضايا التي يتداخل فيها الشرع الديني بالعرف، ولعل أهمها قضية قدسية المؤسسة الزوجية وطهارتها، حيث تسعى من خلال ذلك إلى فضح السلوكات التي يتبناها بعض الناس دون أن يعيروا لها أي اهتمام.

الكلمات المفتاحية: زهرة ديك، قليل من العيب يكفي، الرواية، الخطاب الديني، الهوية، المتلقي، المحظور الاجتماعي، المحظور السياسي.

تاريخ تسليم البحث: 08أفريل 2016.

تاريخ قبول البحث: 20نوفمبر 2016.

The Identity Quest in the Religious Discourse in "A Little Defect is enough" Novel of Lazhar Dick

Abstract

Taboo has a significant presence in the Algerian novels. It didn't only appear in the political, social and religious fields, but it showed a developed objectivity and aesthetics. It also made a lot of novelists try the tabooed subjects. The novel entitled "Kalil Mina AL Ayeb Yakfi" (Some obscenity would be enough) by its author Zahra EL Dick, is a good example of combining the social and political taboo. The first impact on the reader would be the title. The word obscene has huge moral and ethical meanings. The novel treats the religious taboo not only as morally inappropriate but it criticizes its origin and shows how it can affect the human behavior and thinking. The author also tried to shed light on the religiously violent speech as behavior coming from an intellectual background.

Keywords: Significant presence, religious fields, objectivity, aesthetics, taboo, word obscene, violent speech

يحضر المحظور الديني في رواية (زهرة ديك) الموسومة "قليل من العيب يكفي"[1] بشكل يكاد يكون ملتبسا بالمحظورين الاجتماعي والسياسي، وربما ورد –أحيانا بل في الغالب- تلميحا نتيجة التدخل الذي أشرنا إليه سابقا.

إن المتلقي حينما يستقبل العنوان الرئيسي للمرة الأولى، يشد انتباهه لفظ "العيب"، لما يحمله من دلالات دينية وأخلاقية وبخاصة على مستوى المنظور الشعبي. فللعيب وقع الصدمة والانتهاك المتجاوز لكل الحدود والقواعد المجتمعية. وكأن الروائية أرادت أن تقول إن هذا العيب الذي تخوض فيه الرواية، قد بلغ حدوده القصوى، لذلك وبعبارة فيها الكثير من الاستهجان والرفض، تقترح أن القليل من العيب يكفي، إذ استشرى وتفحش.

والظاهر أن هذا العيب الذي سنكتشفه داخل النص الروائي، قد مس الأخلاق والمجتمع، والعلاقات الإنسانية والعاطفية، فلم يترك مفاصل الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية إلا سكنها ونخرها في الوقت نفسه. وهذا ما نتبينه مما ورد في الرسالة التي فكر "بهتة" في إرسالها لسيادة الرئيس فـ: «...لحظة العري قادمة...ولحظة العيب ستعشق هذا الوطن وستتفحش فيه على مرأى الجميع...لا أدري سيدي إن أنتم تشعرون بها مثلي هذه الجزائرية أو لا؟ أستشعرها تنحسر عن جسدي وأحلامي لتسقط وتتركني عاريا...إني أصارع يوميا كي لا تنكشف سيدي عورتي، صرت مضطرا لشد تلابيبها بأسناني ويدي وأربطها إلي بأسلاك الفشل واليأس، إني في عراك مستميت معها كي نعيش معا...تعلمت سيدي أن أعيش بلا حب...أصبحت تعجبني حياتي "اللايت"...أشعر أني سأنهار أمام عنتها وقسوتها وجبروتها...آثار عراكي الجسدي ستراها سيدي بادية على كلماتي وعلى ورقي وصورتي المرفقة بهذه الشكوى...وستتبين بوضوح

أعطابها الكثيرة التي خزنتها نظراتي...وامتصتها جذور شعري ومسامي...»[2] هذه الرسالة يحلم "بهتة" أن يبعثها إلى الرئيس كلما عاوده إحساس بالضياع واليأس، مما يدفعه إلى الشك في جزائريته التي ضحى من أجلها الشهداء الأبرار، فلم تعد تناسبه وتقنعه، بل ينشد إلى جزائرية تتلاءم مع ذوقه ومقاسه.

وعلى هذا الأساس، فإن لفظ "العيب" الذي استوقفنا في العنوان الرئيسي ليس له حمولة دينية فقط، وإنما له امتدادات اجتماعية وإيديولوجية وفكرية. ولذلك يأخذ دلالة خاصة عندما يتجسد من خلال الأفراد، وبخاصة لدى شخصية "بهتة" التي تحيل على حالة إنسانية باهتة، فضلا عن ذلك وضعية الانهيار الأخلاقي والقيمي. وفي هذا الصدد نستحضر شخصية الصحفي "بهتة" الذي يؤشر اسمه على أنه إنسان يعيش حياة تائهة لا معنى لها. وليس أدل على ذلك من علاقته الزوجية الفاشلة والتي حاول أن يرممها بانجذابه نحو زميلته "سكينة". وكأن في ذلك ملمحا ضمنيا لخرق ديني من خلال تجاوز حرمة المؤسسة الزوجية.

وتبعا لذلك، فإن هذه الشخصية منذ بداية الرواية، تبدو فضاء لكل الخيبات والصدمات والانكسارات، بل إنها تشعر بعدم صلاحيتها لأي سيء. ولذلك نلقى "بهتة" عبر الرواية مدمنا على أكل الكاوكاو، فتتكلس أمعاؤه، وفي ذلك إشارة واضحة إلى حياته المتكلسة. مما سيفضي به إلى قطيعة مع الناس والعالم. وهو فعل قوي يؤكد على تعطيل للممارسة الدينية بوصفها معاملة إنسانية.

لكن "بهتة" لا يرضى بالاستسلام، بل يتخذ قرارا بتجاوز انكساره ليفضح هذاالعيب، وذلك ما يرصده لنا المقطع السردي في خاتمة الرواية فهو «سيقول لهم من علم الجزائريين كلام العيب، ومن فرض عليهم عيش العيب، ومن ألزمهم بالموت العيب، ومن أقنعهم بأن العيب ما عاد عيبا، والنهب ما عاد عيبا، والدم ما عاد عيبا. سيبرهن لهم في كتبه أن اسمه ليس عيبا، وسيفضح من قرر أن الجزائري والأحزان خلقا ليبقيا معا...ستجول نظرياته كل بقاع الوطن، وسيحج الناس إليه، وسيقصده الوطن تائبا طالبا اللجوء والفوز بسفينته النوحية بعد أن أرهقه عقوقه...سيقبل بهتة توبته وسيسمح له بركوب الحافلة، فقط لأنه آمن به ذات وقت، أنه لا يمكن أن يكون وهما وجد فقط لتحويل ذهب أحلامه إلى قصدير...ورصاص...»[3]. ومن خلال هذا القرار لم يعد "بهتة" يكره اسمه، ولم يعد يفكر في تغييره في سجل الدفتر العائلي، بل إنه يأمل في تأليف كتب تكشف هول المعاناة ومرارة اليومي الذي يعانيه المواطن.

وهي مجموعة كتب يفكر "بهتة" في نشرها من خلال الأفكار التي كان يسجلها في تذاكر الحافلة التي كانت تقله يوميا إلى مقر عمله. فأمله الكبير أن «يقرأ الكل كتاباته التي دونها

كمايريد، سيقول ما يحب للناس...ويكتب عما وعن يشتهي...في الحافلة هو حر في قول ما يحب عن بلده وحر في أن يرى ماضيه كما يرغب ويتصور مستقبله كما يشتهي عن رئيسه عن العالم...سيمتلك الناس بأفكاره، ويطلعهم على ما كان وما هو كائن وما سوف يكون...سيخبرهم بيوم الخلاص من اللصوص التي تنهب ماضيهم وحاضرهم وجعلتهم يشعرون أن وطنهم ليس وطنهم...وحدها الحافلة وطنهم...وجعلتهم لا يحسون بوجودهم إلا في تفاصيلهم المضنية...سيقول لهم ما الذي يجعل الوطن حافلة...وما الذي يجعل تذاكرها كتابا»[4]. وعبر عن هذه الصورة يتأكد "بهتة" أن قيمته ثابتة في هذا الوطن الذي لا تظهر ملامحه جلية إلا عبر الحافلة التي تفضح، بما يستجدداخلها، التناقض الصارخ في حركية المجتمع. وبالتالي يتقمص "بهتة" شخصية "نوح" عليهالسلام، ليصبح مخلّصا وطنه التائب، لعله ينجو من جحوده وآثامه. لقد أدرك "بهتة" أخيرا أنه رجل مهم في وطنه.

وتذهب الروائية زهرة ديك في معالجتها للمحظور الديني إلى أبعد من ذلك حيث إنها لا تتناوله بوصفه عيبا أخلاقيا فحسب، بل تنتقد مرجعيته الفكرية أيضا، وبخاصة إذا كانت هذه المرجعية ذات تأثير سلبي على سلوك الإنسان وفكره، وذلك ما يتجلى لنا من خلال الحوار الذي جرى بين "بهتة" و"بدور" في مستهل الفصل العاشر من الرواية، فيؤكد لها أن الإنسان يعيش تفاصيل يومياته بشكل طبيعي، ويفكر في صناعة مستقبله كبقية الناس.

ولكنه إذا عثر على كتاب ديني على شاكلة "الطريق إلى الجنة" أو "فز بآخرتك" أو "عليها نحيا وعليها نموت"[5]، فإن حياته ستتغير بطريقة سريعة ومدهشة، لأن هذا الكتاب سيسلخ الإنسان عن حياته الماضية، ويضيع وجوده المستقبلي، فيكفر المجتمع، إذ إن مضمونه لا يتعدى في الأخير أن يكون عبارة عن خناجر وأسلحة فتاكة ودماء مسفوكة، ونيرانا حارقة، فهو يسأل نفسه «كيف لم ينتبه أحد لوجود مثل هذا الكتاب؟ يا لعمره الذي ضاع سدى...يا لأيامه التي أنفقها بلا طائل...الكتاب كان يعلم بوجوده وبوجود أمثاله وغير أمثاله...وهو هنا ينعم بغفلته...ويغط في تفاهاته...ويحسب أن هذه هي الدنيا...وهذا هو الإسلام وهذه الحياة...وهؤلاء هم الناس...كيف تحمل وكيف سكت عن كل هذا؟ كيف تقبل الجرائم التي يقترفها حكام بلده كل يوم ضده وضد سعادته ورجولته وحياته برمتها...كيف لم يفكر في الالتحاق بمن كانوا أكثر فطنة منه...ومن قرأوا الكتاب قبله بل كيف كان يلومهم ويجرمهم ويصفهم بالإرهابيين المجرمين...وإلتهم الكتاب...بما فيه...وإذا هو عبارة عن سكاكين وأسلحة وقنابل وأفكار ودم وانتقام ونار»[6]. هذا التغير في الرؤية والتحول في السلوك لا ينسحب على شخص بمجرد قراءة الكتاب الديني، بل قد يتعداه من خلال جلسة طارئة مع شخص عابر، وقد تقترف بسبب ذلك

–كما يعتقد بهتة- جرائم وكبائر بمجرد أن ينطق الرجل "أنت طالق"، أم من خلال انتحار فتاة لأنها أجبرت على الزواج برجل لا تحبه.

وبناء على ذلك نصبح أمام تغير كارثي في سلوك الفرد بسبب تلقيه الخاطئ للدين، لأن عناوين الكتب المذكورة من قبل "بهتة" في حواره مع "بدور"، والتي قلبت قارئها رأسا على عقب، إنما كانت تحمل دلالة يفترض أنها إيجابية، فـ (الطريق إلى الجنة) هو تحديد لمعالم الاهتداء إلى نعيم الجنة التي يعد بها الله عباده الصالحين، و(فز بآخرتك) هو أيضا ترغيب في الفوز بالآخرة، أما الكتاب الثالث الموسوم (عليها نحيا وعليها نموت) يرسخ قاعدة الفوز بالدارين: الدنيا «عليها نحيا» والآخرة «عليها نموت». ومن الواضح أن هذا الشعار مبني على الحذف: فما هو هذا الشيء الذي عليه نحيا وعليه نموت؟ ببساطة المضمر هنا هو القاعدة الإسلامية الذهبية التي تتخذ من التوحيد خلاصا ونجاة، وهي: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

وبهذا الشكل يصبح المقدس من منظور الروائية زهرة ديك منتجا للكارثة والخراب، خصوصا عندما يصبح التلقي للدين سلبيا وتأويله منحرفا وممارسته قتلا وتدميرا.

كما أن المتأمل في عناوين الكتب السابقة التي ذكرتها الروائية على لسان "بهتة"، يكشف التداخل بين الخطاب الديني والخطاب السياسي، وذلك ما يفسر السؤال الجوهري الذي حاولت الروائية أن تجيب عنه من خلال شخصية "بهتة"، أو على الأقل أن تثيره: كيف يتحول الخطاب الديني اللطيف إلى عنف سياسي؟ ولماذا تم استبعاد الأبعاد السوسيولوجية والتاريخية لهذه الظاهرة في التاريخ العربي بصفة عامة، والتاريخ الجزائري بصفة خاصة؟

وتبعا لذلك، لا يمكن أن نعزل عنف الخطاب الديني عن جذوره التي لم تتعمق فيها الروائية، ولكنها دقت بطريقتها الخاصة جرس الإنذار، فضلا عن تأكيدها على أن هذا العنف متولد أيضا من خلفية فكرية. لذلك الكتب المغرية بعناوينها والقاتلة بمضامينها هي مرتكزه، بل الأمر أخطر من ذلك عندما تقرأ وتؤول تلك الكتب بطريقة سلبية « وهو الأمر الذي يجعل منها كتابات قابلة للاستثمار من طرف كل من يرغب في الحصول على تأشيرة حضور العنف لكي يعمم، ومن ثمة يبعد داخل الخطاب المجتمعات العربية الإسلامية عن دائرة التاريخ والكون...فالعنف/المقدس عنف رمزي في جوهره...يلتقي الدين والمقدس في محطات كثيرة، لكن هذا الالتقاء لا يسمح بالمماثلة بينهما، أو تبسيط العلاقة بينهما لدرجة التماهي. فالدين ممركز حول الله وليس حول المقدس...إن الدين هو وساطة المؤمن إلى الله، بينما المقدس لم يتخذ صيغة الوساطة، بل شكل مجالا لإحداث تحولات باتجاه مجالات أخرى»[7] ولعل أهمها السياسية والجمالية والاجتماعية. ولكن تبقى المشكلة قائمة في كيفية الفهم والتأويل

والممارسة، لأنه من غير المعقول أن يكون القتل طريقا إلى الجنة. وبالتالي فإن الروائية تنقد الخطاب الديني من ثلاث زوايا: الكتابة والقراءة والتأويل. فالكتابة مضللة لأنها تعتمد على الإغراء، والقراءة سيئة لأن المتلقي يمتلك موقفا سلبيا إزاء معطيات النص، وبالتالي فإن قراءته غير خصبة لا تؤسس «لجدلية خلاقة بين الذات والموضوع. وهذه العلاقة تنتج التأويل على مستوى درس النصوص والظواهر على السواء»[8]. وبالتالي فإن القارئ الذي يمتلك نزعة ذاتية ونفعية في تعامله مع النص، فإنه يخفق في تحديد الدلالة السليمة التي قصدها الكاتب، وبالتالي فإنه يعزل النص عن سياقه الاجتماعي والتاريخي والثقافي.

واللافت للانتباه أن الروائية زهرة ديك تحاول من خلال روايتها أن تميط اللثام عن بعض القضايا التي يتداخل فيها الشرع الديني بالعرف كما يتصوره المجتمع، كما تسعى إلى فضح السلوكات التي تتفشى بين الناس دون أن يعيروا لها اهتمام، ولعل أهمها قضية قدسية المؤسسة الزوجية وطهارتها. وهي مؤسسة قد فصل الدين الإسلامي في هويتها التي تقوم على الود والسكينة دون إغفال المعطى الجنسي الذي يحدث جانبا من الاستقرار النفسي والأمان الروحي، ذلك لأن «القرآن الكريم يصور "الحب" بمدلوله الحسي والجنسي لغرض العضة والعبرة، كما يصوره بمدلوله الروحي ليكون ثمرة كل عمل ديني، والغاية من كل فعل أخلاقي»[9] فالدين الإسلامي لم يلغ الشهوة وإنما حاول تهذيبها ووضعها في إطارها الشرعي الذي تقبله الفطرة السليمة، وهي رؤية تقوم على «منهجية مبدئية إسلامية تقتضي وجوب استبدال وإحلال ما هو حسن وخير وطيب، وشريف، كحب الموضوعات السامية والروحية والشريفة، والمقبولة، محل ومكان ما هو أدنى، وأسفل، وأتفه، وأخبث، كحب الموضوعات الحسية والجنسية الشهوية إذا وقعت في غير إطارها الشرعي والاجتماعي والأخلاقي»[10]. وهو مبدأ استطاع الإسلام أن يحتويه لينعكس في الحياة الفكرية والروحية للمسلمين.

إن المتصفح لأحداث الرواية، يقف على التناقض الصارخ في هذه المسألة. ويتضح ذلك من خلال شخصية "سكينة" التي تحتار لأمر هذا الرجل الذي يدنس المؤسسة الزوجية من خلال قناعاته الفكرية. فهو يقبل على الزواج ولكنه لا يحترم قواعده التي تقوم على الحب والود والسكينة. فهو يعتقد أن الحب لا يمكنه أن يثبت على صورة واحدة، بل هو قابل للتغيير والتزييف والإلغاء في بعض الحالات ووفق الظروف التي تواجهه. فهو لا يمكنه أن يستقر على حالة واحدة من العواطف. فمشاعره عاجزة عن الإخلاص لامرأة واحدة، بل تجده يحاول أن يوفق بين زوجته التي تمثل الواجب وبين امرأة أخرى يعشقها خارج الإطار الشرعي لأنها تحقق له الغريزة التي لا يقوى على مقاومتها. فهناك من الرجال «من لهم امرأة الواجب...وامرأة الغرائز...وغالبا ما تتغلب الثانية على الأولى...الرجل من هؤلاء يحب أن يشكل الزوجة حسب

قالبه وعقده وما شب عليه من عاهات اجتماعية وجنسية، ويجب أن يجد المرأة العشيقة على قالب مغاير يستوعب كل فانتزماته وعقده وتعلم غرائزه كل اللغات الشبقية، وتلك هي المسألة بالنسبة للرجل أينما كان»[11]

وهذا ما لاحظته "سكينة" في علاقتها بـ "رشيد" الذي أعلن لها حبه وإخلاصه لمشاعرها وتمسكه بها، ولكنه مع مرور الأيام، وحين أتى موعد تنفيذ قراره بأن يتزوجها، تغير كل شيء، ولم يعد "رشيد" يرغب في "سكينة"، وكأن الحب يتعارض مع الزواج، فـ «كأن الحب لا يعيش مع الزواج...ولا يقبل به رفيقا مدى الحياة، كأن الحب حرام الزواج»[12]، وهو ما يتعارض مع المبدأ الجوهري في الإسلام الذي يقر بوجوب الحب في بنية المؤسسة الزوجية، ولا يمكنه أن يكون من العوارض الدينية، ولا من العوابر الدنيوية.

وتبعا لذلك فإن الفضاء السردي الذي تقدمه لنا الرواية، يكشف لنا صورة عن العلاقات الغرامية العابرة للأزواج، تتمظهر من خلال «قيم لا يستوعبها السجل الأخلاقي التقليدي كالعفة والطهارة والوفاء، وغيرها من القيم العليا التي لا يأتي الزواج إلا متبوعا بمعانيها السامية في كل الثقافات الإنسانية بغض النظر عن دياناتها»[13]، وهي قيم تبوح بها شخصيات الرواية وتفضحها بسلوكاتها.

ومن هذا المنطلق، فهمت "سكينة" أن الحب عنصر غير ضروري في بناء المؤسسة الزوجية، فصرفت ذهنها عن هذه المعادلة، وراحت تبحث عن رجل يحترمها ويقدر مشاعرها ويحقق لها أنوثتها ويسعدها في تجسيد حلم الأمومة لديها. فلا يهم أن يناسب مقامها الاجتماعي، وينسجم مع شهادتها الجامعية كصحيفة ناجحة، بل الأساس أن يقتنع بمشاعره نحوها. فلم يطل بها الحال حتى وجدت ضالتها مع "علي" وهي في مهمة رسمية بإعداد تقرير صحفي عن عمال النظافة بالمدينة أو ما يصطلح على تسميتهم في العرف الجزائري بالزبالين. لم تكن تهمها وظيفته، أو منظره وهو يقلب أكوام القمامة، فقد كان يظهر لها بسيطا، منشرحا في أساريره، مشعا في نظراته، ومفعما «بالرضى، ومتصالحا مع لاشيئه، ومن وقتها فهمت سكينة ما معنى أن يرضى الإنسان بلا شيء، من رضى بلا شيء كأنما رضي بكل شيء، كأنما يكسب كل شيء...إنه يوحي بنظافة ونقاء داخلي...فلا قذارة إلا قذارة الأخلاق والطباع والتفكير»[14]. هذا ما اعتقدته "سكينة" في لقائها الأول بـ "علي" محاولة أن تقنع نفسها بأنه أفضل من زملائها في الجريدة الذين يتباهون بمقالاتهم ويعتدون بأنفسهم دون أن يحدثوا تغييرا في دنياهم.

وأخيرا بعد أن وعدته بتغيير نمط حياته من خلال إيجاد مهنة تليق به كزوج لصحفية ناجحة عبر علاقاتها الكثيرة بمسؤولين يمكنهم أن يوظفوا زوجها في منصب عون أمن في إحدى

البلديات أو سائق في إحدى السفارات. لم تعد "سكينة" تفكر في مسألة العواطف أو المشاعر، فهي لا تهمها في علاقتها بـ "علي" أن تقوم على أساس الحب والإخلاص، المهم عندها أن تحقق الدوام لهذه العلاقة باستخدام العقل والمنطق فهي «لحد الآن لم تقل له: أحبك...هل يريد أن يسمعها أو لا يريد؟...هل يقول لها هو أحبك؟ هل يجب أن يقول ذلك لها...كيف؟ ومتى؟ ولماذا؟ لا يدري...ولا يدري لماذا لا يدري...بالنسبة لسكينة الأمر واضح...لا تريد أن تتورط معه لا بمشاعر ملتهبة ولا بكلام معسول...لم تعد تنطلي عليها ولم تعد تؤمن بها كما كانت من قبل، مع علي تريد أن تتصرف بتدبر وعقل يرى الأشياء كما هي...لقد توسمت في هذا الرجل شهامة الرجال، وتوسمت فيه مؤشرات الأمان والإخلاص التي لم تظفر بها مع خطيبها السابق»[15] الذي كان على قدر من الثقافة، وصاحب منصب اجتماعي راق، لكنه لم يحقق لها وجودها كأنثى محترمة.

وفي الجهة المقابلة يحاول "علي" أن يقنع نفسه بالوضع الجديد من خلال ارتباطه بـ "سكينة" ونسي بل تناسى علاقته العاطفية بخطيبته "عيشة" التي أجرمت بسبب حبها له، لتقضي أربع سنوات سجنا، ثم تصبح زوجة له كما وعدها. هو لم يخبر "سكينة" بماضيه مع "عيشة" ولا ينوي إخبارها، بل يجتهد أن يتأقلم مع حياته الجديدة حتى يستطيع أن يحقق مآربه من خلال ارتباطه بامرأة مثقفة وصاحبة واجهة اجتماعية. فراح يتصنع بإظهار اهتمامه بها ورغبته في التواصل معها، ومن أجل ذلك «تكررت لقاءاتهما وتوالت مواعيدهما...لم تعد سكينة تلحظ ذاك القلق، وذاك التردد والارتباك في نظراته وكلماته القليلة، باتت تلاحظ شيئا كالاستكانة، كالثقة...كالفرح في عينيه وكلامه الذي بدأ يسترسل ويطول نوعا ما، لقد كان يفهمها بذلك أنه قرر بينه وبين نفسه عدم ترك مثل هذه المرأة تفلت منه، من الغباء أن يضيع ويرفض خيرا جاءه يمشي على رجليه وحط على حجره بلا تعب، بلا معاناة، بلا تخطيط ولا تفكير»[16]. وهكذا يتكرر السيناريو مع "سكينة" الساعية إلى تحقيق الصفاء والطهارة في بناء المؤسسة الزوجية عبر ارتباطها بـ "علي" البسيط الذي لا يحبها ولا يقدر أنوثتها على الرغم من قرب زواجه بها، بل يخطط لمستقبل واعد له، وهذا وجه آخر للخيانة الذي يتناقض مع الود والسكينة.

في الواقع هناك بعض النصوص الروائية ذهبت إلى ابعد من ذلك في معالجة عنف الخطاب الديني. وذلك ما لمسناه في رواية (اللاز) من خلال قتل زيدان، ومحاولة "مصطفى" تشويه وجه "جميلة" بسبب مواقفها الأيديولوجية في رواية (العشق والموت في زمن الحراشي). والشيء نفسه نلفيه في رواية (فاجعة الليلة السابعة بعد الألف)[17] لواسيني الأعرج من خلال تعذيب البشير المورسيكي من قبل محاكم التفتيش[18] في غرناطة، واتهام ابن رشد[19] بالزندقة

والإلحاد، وإعدام الحلاج[20] في الأسواق البغدادية. ومن ثمة، فإن هذا العنف يتخذ مظهرين: الأول فكري، والثاني جسدي. وهو أمر لا يمكن الفصل بينهما في الرواية.

كما ينبغي التنبيه إلى أن واسيني الأعرج قد استفاد من توظيف القصة الدينية، والتاريخ الإسلامي في روايته، وبخاصة قصة أهل الكهف من خلال حكاية البشير المورسيكي التي بدأت بخروجه من الكهف بعد نوم طويل. فإذا عاد أصحاب الكهف إلى مدينة "دوقيانوس"، فالبشير قد عاد إلى مدينة "نوميدا أمدوكال"، وهكذا فإن «المشابهة بين القصتين تصل إلى حد التداخلأحيانا، وذلك عن طريق استخدام إشارات تشي بالتداخل بين القصتين، كقول الحكماء السبعة بأن الكلب الذي كان ينتظر البشير المورسيكي عند باب الكهف، هو الكلب "قطمير" الذي كان مع أهل الكهف. وهكذا نجد أن بناء الحدث الروائي المتمركز على الصراع بين الخير والشر شيد على المفاصل الرئيسية للقصة الدينية، بهدف إظهار أن التاريخ البشري ليس إلا تاريخ الصراع بين قوى الخير وقوى الشر»[21]. وبالتالي فإن الروائي واسيني الأعرج يتخذ من العنف الديني والفكري والسياسي مرجعية أساسية في تحديد طبيعة الفاجعة التي حلت في الليلة السابعة بعد الألف.

مراجع البحث وإحالاته:

1 زهرة ديك، قليل من العيب يكفي!، منشورات بغدادي، الجزائر، 2009.

2 المصدر نفسه، ص 352.

3 هي عناوين ذكرتها الروائية من خلال حوار "بهتة" وبدور".

4 زهرة ديك، قليل من العيب يكفي!، ص 87.

5 نور الدين الزاهي، المقدس الإسلامي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2005، صص 91-92.

6 نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 3، 2007، ص 121.

7 نور الدين الزاهي، المقدس الإسلامي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2005، صص 91-92.

8 نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص 121.

9 عبد الحميد خطاب، إشكالية الحب في الحياة الفكرية والروحية في الإسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004، ص 92.

10 عبد الحميد خطاب، إشكالية الحب في الحياة الفكرية والروحية في الإسلام، ص 97.

11 زهرة ديك، قليل من العيب يكفي!، صص 161-162.

12 المصدر نفسه، ص 162.

13 عبد الله شطاح، نرجسية بلا ضفاف، التخييل الذاتي في أدب واسيني الأعرج، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار، الجزائر، 2012، ص 73.

14 زهرة ديك، قليل من العيب يكفي!، صص 160-161.

15 المصدر نفسه، صص 196-197.

16 المصدر نفسه، ص 198.

17 واسيني الأعرج، فاجعة الليلة السابعة بعد الألف، رمل الماية، المؤسسة الوطنية للكتاب، لافوميك، دار الاجتهاد، الجزائر، ط 1، 1993.

18 ينظر المرجع نفسه، صص 42-43.

19 ينظر المرجع نفسه، ص 17.

20 ينظر المرجع نفسه، ص 09.

21 محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية، ص 157.